في الجغرافية وجغرافيي الاسلام (١)

لحناب سليم افندي ميخائيل شحاده

لقد عني العرب في صدر الاسلام بالعلوم فنازوا منها بالنصيب الاوفر واحرزوا لهم في صفحات التاريخ ذكرًا مخلَّدًا . نفقت لهم سوق العلم وزهت دولة الحكمة في عصرهم والشعوب الاوروبية تتعثَّر في عشواء الجهالة وتخبط فيها . حصلوا علوم الاوائل بل زادوا فيها ومهَّدوا اصول الادب وبيَّنوا منهاج الطلب ما عنوا بشيء من العلوم الَّا بلغوهُ وما طمعوا بمطلبٍ من الفنون الَّا ادركوهُ وهم في افانين العلوم وضروبها كتب جاءت محلّ عُقدٍ من مغازيها وجمعت من اشتات ضوابطها ومعانيها ما اثبت فضلهم وعظَّم قدرهم

ومن استطلع تاريخ الاسلام واستكشفهُ يعجب لما يراهُ من سرعة حركة الخواطر الادبية التي جاشت في الامة العربية اثر فتوح الممالك والبلدان وهي حركة عظيمة ما عتمت ان انبسطت في العالم الاسلامي اجمع وسرت منهُ منتشرة في سواهُ من الاقطار حيث اثَّرت بالافكار وجاءت بخير الثمار . ونتائج الافكار لا تقف عند حدّ وتصرفات الانظار لا تنتهي الى غاية لان العلم المعنوي واسع كالبحر الزاخر . وكان ظهور الاسلام في القرن السابع وما استهلَّ القرن الثامن الَّا وملكهم عظيم متسع الارجاء وامرهم مستفحل في البلاد وكلمتهم نافذة في الاقطار . فتحت بلاد الشام من سنة ٦٣٣ الى سنة ٦٣٨ وبلاد فارس بين الفرات والسند وجيحون من سنة ٦٣٣ الى سنة ٦٤٠ ومصر سنة ٦٣٨ والقيروان سنة ٦٤٧ وجزيرتا قبرص ورودس سنة ٦٤٩ ودانت بلاد ارمينية حتى جبال قوه قاف للخلفاء وفي بداءة القرن الثامن فتح العرب بلاد ما وراء النهر سنة ٧١٠ وبلاد الاندلس من سنة ٧١١ الى سنة ٧١٤ فامتدَّت ولاية الخلفاء من حدّ الهند الى الاوقيانوس الاتلانتيكي ومن قُنن جبال قوه قاف الى صحاري افريقية الداخلية

واختصَّ العرب من فتوحهم بنصيب الرومان في معرفة البلاد والاصقاع فانهم ما وطئوا ارضًا الَّا سبروها وما فتحوا بلادًا الَّا استقصوها وكان من اثر اختلاطهم بالشعوب الاخرى تنبه الخاطر فيهم الى كسب علوم الاوائل فجدُّوا في هذا السبيل وسهَّل لهم تناولها ذكاء قد فُطروا عليهِ وعاطفة طبيعية ازدانت بقوة التبصرة ونفاذ الفكر * واخذ العرب بداءة بدء الآداب اليونانية عن السوريين وهم تلقنوها عن النساطرة الذين كانوا نفروا عن البلاد الى فارس هربًا من اضطهاد قياصرة الروم لعلَّة دينية وكان هولاء النساطرة على جانبٍ من العلوم مهروا في الطب وشادوا

(١) وهي خطبة تلاها في المجمع العلمي الشرقي في جلسة اذار ١٨٨٣

مدرسة في ايدسّا (مدينة الرها) وهي من اجلّ المدارس خرّجها زينون الايروري فجدّدوا نشأتها في جُنديسابور من خوزستان وهرع اليها العدد الكثير من الطلّاب ولمّا وقف العرب على تصانيف حكماء اليونان ولعوا بها واخذوا في استقراء اسبابها وفوائدها ونشأت اسباب تلك الحركة الادبية في خلافة ابي جعفر المنصور العباسي وهو اول من عني منهم بالعلم واقبل على طلبه في مواضعه فداخل ملوك الروم وسألهم وصلة ما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا اليه منها بما حضرهم فاحضر لها مهرة المترجمين فترجموا له على غاية ما امكن وانتظم في دار الخلافة جماعة من ذوي الفهم اتقنوا كثيرًا من الفلسفة والعلوم وكانوا يحدقون بالخليفة احداق الهالة بالقمر ونبغ جماعات اخرى من العلماء المحدثين في كثير من مدن الاسلام ذلك ما زاد عصر الخلافة فخارًا ورونقًا

واستيفاء الكلام في هذا الباب خارج عن حدّ مقالتي هذه اذ اختصها ببيان حال الجغرافية في صدر الاسلام وبذكر الاسباب التي آلت الى تقدّم هذا العلم فانرنة عظيم اهمية على ان هذه الاسباب كثيرة لا يسعنا تعدادها بل نقتصر على ايضاح بعضها وهو اخصها واهمها . فمنها سعة فتوح الائمة من الخلفاء الراشدين فحاجتهم الى معرفة البلاد وشعوبها كانت اضطرارية آمسّ من حاجة غيرهم اليها لانها فتحت صلحًا وعنوةً وامانًا وقوةً ولكل ذلك حكم في الشريعة في قسمة الفيء واخذ الجزية وتناول الخراج واجتباء المقاطعات والمصالحات ونوالة التسويفات والاقطاعات فكانت معرفتهم البلاد التي دانت لدولتهم تشمل المعمورة بل القسم الاعظم منها . ومنها ايضًا اتساع نطاق تجارتهم وانتشارها في الاقطار شرقًا وغربًا جنوبًا وشمالاً وقد تعاظمت تجارتهم الى حدّ تجاوز حدّ فتوحهم على انهُ من البيّن المعلوم ان اقوامًا عديدة من العرب تشاغلت منذ القدم في التجارة وكانوا في ايام الفينيقيين حتى بعد ذلك ايام البطالسة والرومان خير وساطة للتجارة بين البحر المتوسّط وبلاد الهند ألا نعلم ان الفينيقيين انفسهم فرع من الشجرة العربية العظيمة وهم كانوا سادة البحر في ايام دولتهم ولا عجب ان رأينا تجار العرب في ذلك العهد يقطعون الارض ذات الطول والعرض ويخوضون عباب البحر طلبًا لاسباب التجارة فان اختلاطهم بالسواد الاعظم من شعوب القارة الآسية والقسم الشمالي من قارة افريقية كان العامل الاهمّ في رواج تلك الاسباب مع ما وجد فيهم من الميل الطبيعي للاتجار وقد حصلوا درجةً مكينةً لم يبلغها غيرهم من الشعوب القديمة حتى مَن جاء بعدهم قبيل اكتشاف البلاد الاميركية وكان تجار العرب يتجرون في جميع انحاء المعمورة واطرافها وكانت قوافلهم منتشرةً في الاقطار تخترق الجبال وتقطع القفار فتأتيهم بالاموال والخيرات العظيمة وبالسلع المتنوّعة الاشكال المختلفة الاجناس . وقد ترتّب من ذلك عدة طرق تجارية يمكن حصرها في اربع تبدأ من قادس وطنجة وتنتهي الى اقاصي البلاد الآسية اولاها تمرّ في الاندلس

والاقطار الاوروبية وبلاد الصقالبة حتى بحر الخزر وبلخ وبلاد تغزغز والتاتية تخترق القسم الشمالي من افريقية ومصر والشام والكوفة وبغداد والبصرة والاهواز وفارس وكرمان والسند والهند واما الطريقان الاخيرتان فتعبران بحر الروم وتمرّ احداهما في سورية والخليج العجمي والاخرى في الاسكندرية والبحر الاحمر وتلتقي بتلك في بحر الهند . وبعبارة اخرى اقول ان تجارة العرب امتدّت شرقًا الى الصين مارّة في الجزائر الآسية وشمالاً الى اراضي القبائل الرحالة في اواسط آسيا والى بلاد الصقالبة (وهي الروسية) حتى شواطئ البلطيق وجنوبًا الى ساحل افريقية الشرقي الى مذكسكر وغربًا الى اراضي السودان الشاسعة حتى شواطئ الاوقيانوس الاتلانتيكي

ومن الاسباب المشوّقة عنها فرض الحج على اهل السنّة من الاسلام فكانوا يقصدون الكعبة الشريفة من اطراف البلاد على ما نراهم يفعلون حتى الآن ويجتمعون في ايام معلومة في بغداد والقاهرة ودمشق ويسيرون منها قاصدين الاقطار الحجازية. كل ذلك مع حب الرحلة في طلب العلم الذي فشا امرهُ بين العرب في القرن التاسع والعاشر للميلاد ساعد على تقدم المعارف الجغرافية فوضع طبقة من اهل الادب كتبًا جليلة في هذا الفنّ دوّنوا فيها ما عرفوا من البلاد وما سمعوهُ من اخبارها اخذًا ونقلاً عن الرحالة والتجار والحجاج واهل السير والآثار . ومن الكتب التي صنّفها المتقدمون من الاسلام في اسماء الاماكن ما قُصد بتصنيفه ذكر المدن المعمورة والبلدان المشهورة ومنها ما قُصد به ذكر البوادي والقفار واقتصر على منازل العرب الواردة في اخبارهم والاشعار . واما من قصد ذكر العمران فجماعة سلكوا قريبًا من طريقة المتقدمين من حكماء اليونان في ذكر البلاد والممالك وعنوا مسافة الطرق والمسالك وهم ابن خُرداذبه واحمد بن واضح والجيهاني وابن الفقيه وابو زيد البلخي وابو اسحق الاصطخري وابن حوقل وابو عبد الله البشّاري والحسن بن محمد المهلبي وابن ابي عون البغدادي وابو عبيد البكري والقزويني وياقوت الرومي الحموي وشمس الدين المقدسي وابو الحسن علي الهروي والشريف الادريسي وابو الفداء وابو العباس احمد السرخسي وعلي بن حسين المسعودي والمراكشي وعبد الرشيد الباكوري وابو القاسم الشيرازي والشيخ ازري الاسرائيتي والشيخ تقي الدين المقريزي. واما الذين قصدوا ذكر الاماكن العربية والمنازل البدوية فطبقة اهل الادب وهم ابو سعيد الاصمعي وابو عبيد الشكوني والحسن بن احمد الهمداني وابو الاشعث الكندي وابو سعيد السيرافي وابو محمد الاسود الغندجاني وابو زياد الكلابي ومحمد بن ادريس بن ابي حفصة وهشام بن محمد الكلبي وابو القاسم الزمخشري وابو الحسن العمراني وابو عبيد البكري الاندلسي وابو بكر محمد بن موسى الحازمي وابو الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندري وبرهان الدين ابراهيم البقاعي وابو الفتح محمد الهمذاني وابن الجوراني وعلي بن محمد

الخوارزمي ومحمد بن ايلس الحنبلي وابو المجد اسمعيل بن هبة الله الموصلي وابو الفضل البغالي الخوارزمي وابو عمر محمد الكندي وابو عبد الله محمد التفاحي والظاهري وابو الحسن احمد الاشعري. وعندنا ايضاً طبقة اخرى رحالة سطروا اخبار رحلتهم الى الآفاق واخصّ منهم بالذكر ابن بطوطة الرحالة المشهور. وبرع اهل الادب منهم في الجغرافية الوصفية المحاوية معرفة الممالك والبلدان والاصقاع والاقطار والمسالك والطرق وقد احاطوا علمًا بالاقطار الاسلامية اكثر من غيرها من بلدان النصارى وغيرهم لما انهم كانوا يأبون الرحلة اليها وتفقّه عادات اهلها واستقصاء احوالهم وامزجتهم وان ما رووهُ عنها جاء في مواضع كثيرة مشوّهًا مغلوطًا ولا يتواخذون بذلك لجهلهم لغات اولئك الامم والشعوب وعدم تيسر امتزاجهم بهم الناشئ عن اسباب جمة لا يسع ذكرها في هذه المقالة. وقد الم بذلك ابو الفداء في مقدمة كتابه تقويم البلدان حيث قال جمعنا في هذا المختصر ما تفرّق في الكتب المذكورة من غير ان ندعي الاحاطة بجميع البلاد او بمعاليها فان جميع الكتب المؤلفة بهذا الفن لا تشتمل الاّ على القليل الى الغاية فان اقليم الصين مع عظمته وكثرة مدنه لم يقع الينا من اخباره الاّ الشاذ النادر وهو مع ذلك غير محقق وكذلك اقليم الهند فان الذي وصل الينا من اخباره مضطرب وهو غير محقق وكذلك بلاد البلغار وبلاد الجركس وبلاد الروس وبلاد السرب وبلاد الأولق (النلاخ) وبلاد الفرنج من الخليج القسطنطيني الى البحر المحيط الغربي فانها بلاد كثيرة وبلاد عظيمة متسعة الى الغاية ومع ذلك فان اسماء مدنها واحوالها مجهولة عندنا لم يُذكر منها الاّ القليل النادر وكذلك بلاد السودان في جهة الجنوب فانها ايضًا بلاد كثيرة الاجناس مختلفة من الحبش والزنج والنوبة والتكرور والزيلع وغيرهم فانهُ لم يقع الينا من اخبار بلادهم الاّ النادر وغالب كتب المسالك والممالك انما حققوا بلاد الاسلام ومع ذلك فلم يحصوها عن آخرها. اه

وكيف منّا النظر في التصانيف الجغرافية العربية نرى انهم احسنوا فيها السبك والوضع وجمعوا بين اثبات الفوائد والحقائق وان قصروا دون تنسيقها العلمي واستقراء اسبابها لان بين هذين الامرين مرحلة لم ينهضّ لكثير من الشعوب ان يخطوها وكفاهم نبلاً ما شادوا لهذا الفن من المباني واوجدوهُ لهُ من الحاسن جسيما ادّاهم اليه الاجتهاد وقد تبلّج فجرهُ على الآفاق في المئة الثامنة للميلاد اعني في المئة الاولى للهجرة النبوية واخذ في النماء بعد ذلك لما سطعت شمس المعارف الاسلامية نيّرة في جبين عصرهم مطوّقةً جيدهُ بعقدٍ من لآليها الحسان فانالهم خطّة رفيعة القدر بين الشعوب الشرقية

واما المصنفات الجغرافية التي صُنّفت في خلال القرن الثامن المذكور فكانت عبارة عن رسالات وُضعت لنفع القبائل البدوية تعريفًا للمنازل والمناهل والبوادي والقفار ومن ذلك

كتاب النضر البصري كتبهُ في النصف الثاني من المئة الثامنة وهو نازل على خراسان والنضر هذا ولد سنة ٧٤٠ للميلاد وكتابهُ موجود في بعض المكاتب الاوروبية وقد اشتمل على وصف خواصّ الرجل والمرأة والمضارب والمنازل والجبال والمعابر والنوق والانعام والقمر والشمس والليل والنهار واللبن والخمرة والشجر والنبات والآبار والمياه والرياح والامطار وقد احسن المصنّف وضعهُ وضمّنهُ ما تحتاج القبائل البدوية الى الاحاطة بهِ ولدينا اسماء غيرهِ من الكتب لا نخصها بالذكر في هذا المقام . على ان اوّل كتاب وُضع في هذا الفن في وصف الممالك والبلدان ما اتصل بنا كتاب لابي اسحق الاصطخري وكان من علماء الاسلام ومشاهير الرحالة والمتجوّلين الذين نبغوا في القرن التاسع والعاشر للميلاد فانهم كانوا يترعون الى الرحلة والتجوّل طلبًا لاسباب العلم والتقاطًا لدرر محاكاةً وتلقينًا نقلاً ورواية وتعليمًا فقد جمعوا في اسفارهم اشتات الاخبار ونوادر الآثار وتفحصوا خواص البلدان وامزجة الاقاليم . فطبقة منهم اقتصروا على تدوين اخبار رحلتهم واحاديث اسفارهم وطبقة اخرى دوّنوا مطالعاتهم في تصانيف تاريخية وجغرافية وادبية كما فعل الاولون من حكماء اليونان ومشاهير اهل الادب منهم لانهُ لم يكن لديهم من الوسائط ما لدينا الآن من وفرة الكتب والمصنفات في تنوعات العلوم وتفرعاتها ما جعلها دانية القطوف . وكانوا في اضطرار الى الارتحال طلبًا للتحصيل وعليهِ فنرى ان نحول مؤرخي القدم كهيرودطس وبوليبيوس كانوا من اعاظم الرحالة كالمسعودي وابن حوقل في الاسلام . ونبغ ابو اسحق الاصطخري في النصف الاوّل من القرن العاشر وكانت ولادتهُ في مدينة اصطخر من بلاد فارس رحل في طلب العلم وجاب بعض البلدان الاسلامية ودوّن اخبار رحلتهِ وجاء في كتابهِ بذكر الاقاليم والبلدان والجبال والانهار وبعض المسافات وان فاتهُ وصف خواص البلدان وامزجتها فانهُ حريٌّ بالتعظيم وبان يكون في مقدمة الكتبة في هذا الفنّ وقد اشتهر كتابهُ بين كتب المسالك والممالك ونقل عنهُ ابن حوقل الذي نبغ بعدهُ ببضع سنين واستشهد بهِ في كثير مما ذكرهُ . وقد اخذ ابو اسحق الاصطخري عن كتاب في المسالك والممالك لابي زيد البلخي يُعرَف بتقويم البلدان صنّفهُ نحو سنة ٨٨٠ للميلاد كما نقل المسعودي من الفزاري فان اكثر جغرافيي الاسلام حذوا هذا الحذو ودوّنوا ما رأوهُ رأي العين في اسفارهم وتجولهم وما حصلوهُ في تطوافهم ونقلوا من كتب وتواريخ مَنْ تقدّمهم من اهل الادب والمحدثين ومن افواه الرواة وتفاريق الكتب وذلك ما ذهب اليهِ ايضًا جغرافيو اليونان وكتابهم ونرى ان بطليموس انتحل في كتابهِ الجغرافي جغرافية مارينوس الصوري . ومن الكتب المصنّفة في هذا الفن في المئة التاسعة كتاب المسالك والممالك لابي العباس احمد بن محمد الطيب السرخسي المتوفى سنة ٨٩٩ للميلاد ذكرهُ حجي خليفة وذكر غيرهُ لعلي بن حسين المسعودي ولعبد الله بن

عبد الله المشهور بابن خرداذبه المؤرخ الجغرافي وهو اشبه بكتاب نزهة المشتاق للشريف الادريسي ولكنهُ اكثر منهُ ايجازًا وذكر فيهِ ان الطريق من موضع كذا الى موضع كذا مقدار من المسافة . وقال في مقدمة كتابهِ هذا رسم ايضاح مسالك الارض وممالكها وصنفها وبعدها وقربها وعامرها على ما رسمهُ المتقدمون منها فوجدت بطليموس قد ابان الحدود واوضح الحجة في صفنها بلغة العجمية فنقلتها عن لغتهِ باللغة الصحيحة ليوقف عليها وكانت وفاتهُ في حدود سنة ٩١١ للميلاد وقد ذكر الجيهاني كتابهُ وقال انهُ مختصر جدًّا لا يحصل منهُ فائدة كبيرة وقد تُرجم هذا الكتاب الى الافرنسية وطُبع في باريز سنة ١٨٦٥

اما المسعودي فكانت ولادتهُ في بغداد في حدود المئة التاسعة للميلاد وقد اقبل على طلب العلم والتجوّل منذ نشأتهِ وجاب معظم قسم من الممالك الاسلامية وغيرها من البلدان المحيطة بها وكان مولعًا بالعلوم احرز الكثير منها في الحكمة والادب والتاريخ والجغرافية وفي سنة ٩١٥ كان نازلًا على اصطخر فاقام بها مدةً ثم رحل الى الهند وتفحّص بعض اقطارها وكان قد جاءها مرةً قبل اربع سنوات ثم عبر البحر الجنوبي وجاب سواحل افريقية الشرقية ومنها اجتاز البحر الى جزيرة العرب وليس لدينا من صحيح الرواية ما يحقق تواريخ اسفارهِ على انهُ يحصل من مصنّفاتهِ انهُ انقطع عن الرحلة نحو سنة ٩٤٠ فلزم بيتهُ متشاغلًا في تصانيفهِ الجليلة التي اثبتت لهُ عظيم شهرة وكانت وفاتهُ سنة ٣٤٦ للهجرة الموافقة ٩٥٧ للميلاد وقيل توفي في الفسطاط

وللمسعودي كتاب اخبار الزمان ومن ابادهُ الحدثان في التاريخ وهو تاريخ كبير قدّم فيهِ القول بهيئة الارض ومدنها وجبالها وانهارها ومعادنها واخبار الابنية العظيمة وشان البدء واصل النسل وانقسام الاقليم وتباين الناس ثم اتبع باخبار الملوك الغابرة والامم الدائرة في القرون الخالية واخبار الانبياء ثم ذكر الحوادث سنةً سنةً الى وقت تاليف مروج الذهب سنة ٣٣٥ للهجرة (سنة ٩٤٣ للميلاد) ثم اتبعهُ بكتاب الاوسط فيهِ فجعلهُ اجمال ما بسطهُ فيهِ ثم رأى اختصار ما وسطهُ في كتاب سماهُ مروج الذهب ومعادن الجوهر ورتّب اخبار الزمان على ثلاثين فنًّا وكتاب اخبار الزمان لم يتصل بنا وهو عزيز الوجود وقد قيل انهُ اكتشف على نسخة منهُ في مكتبة السلطان محمد الثاني الفاتح في الاستانة العلية ولم نقف على خبر ايضًا لكتابهِ الاوسط وهو يقيف مع اخبار الزمان على عشرين مجلدًا . واما كتابهُ مروج الذهب ومعادن الجوهر فمن اجلّ المصنّفات العربية قال في مقدمتهِ انهُ اراد فيهِ اجمال ما بسطهُ في كتاب اخبار الزمان واختصار ما وسطهُ في كتاب الاوسط وقال نودعهُ ما في ذينك الكتابين ممّا ضمناها وغير ذلك من انواع العلوم واخبار الامم وقد طُبع مروج الذهب في مصر وطبع ايضًا في ثمانية مجلدات في باريس مترجمًا الى الفرنساوية

باشر الجمع الشرقي في طباعته سنة ١٨٦١ وانجزها سنة ١٨٧٣ وقد قال ابن خلدون في مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر ما يأتي عن كتاب مروج الذهب بشرح المسعودي فيه احوال الامم والآفاق لعهده في عصر الثلاثين والثلثمئة غربًا وشرقًا وذكر نحلهم وعوائدهم ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصار اماماً للمؤرخين يرجعون اليه واصلاً يعوّلون في تحقيق الكثير من اخبارهم عليه اه . وقد يتضح من ذلك توسط هذا الكتاب النفيس بين التاريخ والجغرافية لما حواهُ من الفوائد في هذين الفنّين وقد ذهب بعض كتبة الافرنج الى تشبيه المسعودي ببلينيوس فسموهُ بلينيوس المشرق ووجه التشبيه بينهُ وبين بوليبيوس اولى من ذاك

ونبغ ابن حوقل في النصف الثاني من المئة العاشرة وهو ابو محمد بن العلي الموصلي التاجر الرحالة ولد في بغداد ونشأ بها واقبل على التجوّل في البلاد الاسلامية في عهد المسعودي بعد انقطع هذا من الارتحال الى بيته واستمرّ في حلّ وارتحال ثماني وعشرين سنة وذلك من سنة ٩٤٢ الى سنة ٩٧٠ للميلاد ودوّن اخبار رحلته سنة ٩٧٦ في كتاب سماهُ المسالك والممالك اقتصر فيه على ذكر صفات الممالك الاسلامية ولم يتعرّض لغيرها الاّ قليلاً متصلاً من ذلك بقوله في كتابه المذكور اما بلاد النصارى والحبشة فلم اتكلم عليها الاّ يسيرًا لان تولعي بالحكمة والدين والعدل وانتظام الاحكام يابى ان اثني عليهم بشيء من ذلك . وقد ذكر ابو الفداء كتاب ابن حوقل في مقدمة تقويم البلدان وقال ان كتاب ابن حوقل مطول ذكر فيه صفات البلاد مستوفيًا غير انهُ لم يضبط الاسماء وكذلك لم يذكر الاطوال ولا العروض وصار غالب ما ذكر مجهول الاسم والبقعة اه . وهذا الكتاب مختص بالجغرافية من سواها قد شمل وصف الاقطار والاصقاع والمدن والبلدان والانهار والمناهل والغدران والسباسب والقفار والملح في ثروة البلاد وتجارة اهلها وفي جباية الضرائب والفرائض وذكر مسافة الطرق والمسالك وقد حرص علماء الافرنج على اجتناء فوائده للالمام باحوال الممالك في تلك الازمنة وقد طبع هذا الكتاب في ليدن سنة ١٨٧٣ كما انهُ طبع كتاب ابي اسحق الاصطخري سنة ١٨٧٠ واقدم احدهم على ترجمتها الى الالمانية

ومن المصنّفات الجغرافية في القرن العاشر كتاب الممالك والمسالك لابي محمد حسين بن احمد الهمذاني النحوي اللغوي سنة ٩٤٥ للميلاد ذكر فيه عجائب اليمن وجزيرة العرب واسماء بلادها وكتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للشيخ شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد المقدسي الحنفي المعروف بابن البناء وهو كتاب جليل مرتب على الاقاليم العربية ذكر فيه احوال الربع المعمور وبلادهُ وبرّهُ وبحرهُ وجبلهُ ونهرهُ وطرقهُ ومسالكهُ ومعادنهُ وخواصهُ وقال انهُ لا بدَّ منهُ

المسافرين ولا تخفى عنه العلماء والرؤساء وذكر انه جمعه بعد ما جال ودخل الاقاليم وتفطن مساحتها بالفراسخ واستعان على ما لم يشاهده بالفحص عنه من الناس . وقد صنف كتابه في سنة ٩٨٥ عشر سنين بعد ابن حوقل . ولابي عمر محمد بن يوسف الكندي المتوفى سنة ٩٦١ كتاب في خطط مصر وهو اوّل من صنف فيه

وفي عهد المسعودي راسل احد امراء بلاد اثل (تولكا) الخليفة المقتدر بالله يعرّفه باسلامه ويسأله انفاذ من يعلمه الصلوات والشرائع ولم اقف على السبب في ذلك فانفذ اليه رسلاً في جملتهم احمد بن فضلان مولى محمد بن سليمان فعمل هذا رسالة ذكر فيها ما شاهده منذ انفصل عن بغداد الى ان عاد اليها وقال فيها لما وصل كتاب المس بن شلكي بلطوار ملك الصقالبة الى امير المؤمنين المقتدر بالله يسأله فيها ان يبعث اليه مَنْ يفقّهه في الدين ويعرّفه شرائع الاسلام ويبني له مسجداً وينصب له منبرًا ليقيم عليه الدعوة في جميع بلده واقطار مملكته ويسأله بناء حصن يتحصن فيه من الملوك المخالفين له اجيب الى ذلك وكان السفير له نذير الحدمي . قال فرحلنا من مدينة السلام لاحدى عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٣٠٩ (سنة ٩٢١ للميلاد) ثم ذكر ما مرّ له في الطريق الى خوارزم ثم منها الى بلاد الصقالبة ما يطول شرحه ولم يتصل بنا من رسالة ابن فضلان الا شذر منها اثبتها بعض المصنفين في مصنفاتهم وفيما تيسّر قد حوت اخبارًا وفوائد جمّة عن بلاد الصقالبة واحوالهم وعاداتهم طابقت ما ذكره في البلدان الشمالية قسطنطين البرفيروجينيتي في كتاب له وضعه في سياسة المملكة وصنّفه في نحو سن ذلك العهد وكانت رحلة ابن فضلان الى بلاد الصقالبة متاخّرة عن رحلة اهتر الفروجي الذي رحل قبل بستين سنة وهو اوّل رحالة تجوّل في روسيا الشمالية وتفحّص شعوبها المنتشرة حتى سواحل البحر الابيض

(يتلوه البقية)

اعتبار القدماء للكتب

كان بطالسة مصر يمتنون الاعتناء الشديد في جمع الكتب واستنساخها على نفقتهم فكان كل اجنبي يأتي مصر تؤخذ منه كتبه وتنسخ بالضبط وتعطى له نسخها ويوضع الاصل في مكتبة الاسكندرية ويدفع له مال يرضيه . قيل ان بطليموس يورجيتس (Energetes) جلب كتب اوريبدس وسوفوقليس واسكيلوس ونسخها وارسل النسخ الى اصحاب النكتب الاصلية وارسل لهم معها مالاً يساوي ثلاثة الاف ليرة انكليزية